



متابعة التطورات السورية وتفاعلاتها تدفع بنا للاستنتاج أن الدكتاتورية لا تجمع والمنطق القويم أو التفكير السليم، فذوات الطغاة تتضخم جراء ثقافة النفاق والتطبيل، فلا ترى إلا ما ترغب برؤيته وإن كان نقىض الواقع، فيما تنهج مسلك فرعون وتتبني رؤيته: {ما أريك إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد}.

أسلوب النظام في مواجهة الغضب الشعبي كمن يرید إطفاء النار بالزيت، ومع ارتفاع النيران فإن التعنت وعمى البصيرة يدفعان بالنظام إلى إلقاء المزيد من الزيت، مما يزيد لهيب الاحتجاجات عنفاً وتصميماً وإصراراً.

لقد انفجر في سوريا برakan الغضب الشعبي وانهار حاجز الخوف، فانطلقت جموع المواطنين بعفوية وإصرار واستعداد تام للتضحية بالغالي والنفيس وحتى بالحياة في سبيل استرداد الحرية والكرامة الإنسانية والتي حرمتها النظام منها ردهاً من الزمن.

المنتفضون يشكلون كل أطياف المجتمع، فمنهم المسلم والمسيحي والعربي والكردي والإسلامي والعلمي واليساري وبأعمار وأجيال مختلفة ومتباعدة، بل ربما عوامل الاختلاف بين بعض تياراتهم أكبر من عوامل الالقاء، غير أن ما وحد هدفهم وجمع بوتفتهم أهداف إنسانية راقية: الحرية والسلمية والوحدة الوطنية.

قوة الحراك الشعبي السوري تكمن في **عفوته وتنوعه وانطلاقه من الداخل**، فقيادات العمل الشعبي أفرزتها الأحداث، فلم يدع ولن يستطيع أي طرف سياسي أو فكري أن يقول بأنه هو المحرك أو من يقف أو يقود تلك الجماهير الغاضبة. هذه النقطة أوقعت السلطات في حرج وارتباك مما دفعها لتوسيع دائرة الاعتقال إلى درجة أنه وبحسب صحيفة «دايلي تلغراف» البريطانية حولت مدارس في درعا إلى معسكرات اعتقال. كما أن الاعتقالات واللاحقات شملت رموزاً حقوقية ونشطاء حقوقين ومتظاهرات ليبراليات في وقت يتحدث فيه إعلام النظام عن السلفيين وعن إماراتهم الإسلامية المزعومة.

حين ينكسر حاجز الخوف ويكون دافع التحرك والاحتجاج ذاتياً، فإن القمع الأعمى والمزيد من الدماء يشكلان وقدراً للثورة وحافزاً لتصعيدها، فتحتول الجنائزات مناسبات لإظهار المزيد من الغضب، وبيوت التعزية إلى نقاط تلتقي عندها مشاعر

عارمة من التعاطف والتضامن.

في الجهة الأخرى يفسر الحكم المنقطع عن التواصل مع المواطنين - كما قال الأسد في كلمته الأخيرة: «هناك فجوة بدأت تظهر بين مؤسسات الدولة وبين المواطنين» - تفهم مطالب الجماهير بالضعف والانهيار، فيوغل في البطش وتزداد الشقة بين الطرفين لتحول المطالب من إصلاح النظام إلى رحيله ومحاكمة رموزه على جرائمهم.

النظام في معالجته التدميرية للحراك السلمي ذهب أبعد من ذلك، فهو يريد للاحتجاجات ومن أيامها الأولى أن تحول إلى ثورة مسلحة وفتنة طائفية. فرغم ارتقاء خطاب الجماهير وتشديدهم على السلمية والوحدة الوطنية، تحدثت أبواب النظام وبلامقدمات وبشكل منسق عن الفتنة الطائفية، وكرر بشار في خطابه الأول في مجلس المهرجين كلمة الفتنة نحو 15 مرة، وتم تكرار مزاعم عن العصابات المسلحة والتباكي على شهداء الجيش والأمن - والذين وأشارت العديد من التقارير إلى أنهم كانوا ضحايا النظام لرفضهم إطلاق الرصاص على المدنيين - لتعزيز الهوة بين المواطنين والجيش وشحن الطرفين بالضغائن والأحقاد كل باتجاه الآخر.

سلوك النظام يكشف عن عقلية إجرامية، تريد أن تضحي بالبلاد وترمي بها في أتون حربأهلية أو حتى تفكيرها في سبيل البقاء في السلطة أطول فترة ممكنة.

الرد على محاولات السلطة الباغية في إشعال الفتن والحرائق الداخلية هو في التشديد على سلمية الاحتجاجات وتعزيز الوحدة الوطنية وعدم الاستجابة لاستفزازات النظام وتفنيد أكاذيبه. النظام يبدو مستعداً لحرف الاحتجاج السلمي إلى أي شكل من أشكال المواجهة المسلحة لتحول الصورة من جناة قتلة مجرمين وضحايا مساملين من طلاب الحرية والكرامة، إلى فتنة عمياء تتدخل فيها الخطوط وتنقلب إلى معركة غير متكافئة بين طرفين مسلحين، مما يجعل مهمة النظام في تحريض القوات المسلحة وتوريتها ليست باليسيرة.

تعزيز المشهد السلمي للمظاهرات الشعبية وترسيخ مفاهيم الوحدة الوطنية يعرى النظام، ويمهد للاحتجاجات رموزه قانونياً دولياً ومحلياً، ويزيد من عزلته ويفك قلاعه الأمنية، ويدفع بالمواقف الدولية والإقليمية لمناصرة الحراك السوري.

المصدر: صحيفة العرب

المصادر: